

حساب الجمّل او التاريخ بالحروف

بقلم : محمد البعلاوي

افتتن معظم شعرائنا المتأخّرين بلون من ألوان البديع لم تذكره متون البلاغة القديمة ، وهو تأريخ الأحداث شعرا . ونعني بالتاريخ الشعري تعويض الأرقام بالحروف ، وجمع تلك الحروف في كلمات تكون جملا مفيدة وأسطارا منظومة ، فيكون الرقم المقصود حصيلة المقادير العددية التي أعطيت للحروف . ونسوق كشاهد أوّل لتوضيح هذا التعريف بيتا نقش على قبر بدقبرة الزلاّج بالعاصمة التونسية :

(رمل) أحرفُ أربعةٌ تأريخه الدّالُ والكافُ وسينٌ ثمّ شينٌ

1000 300 20 4

فالดาล تساوي أربعة والكاف عشرين والسين تعادل ثلاثمائة والشرين بألف ، ومجموع هذه المقادير يساوي 1324 ، وهي سنة وفاة هذا الفقيه . على أنّ الناظرين لا يكتفون عادة بذكر ألقاب الحروف ، بل يؤلّفون منها كلمات وجملا تدرج في الشطر الأخير من قصيدة طويلة أو من مقطوعة ، فيعرفُ التاريخ المطلوب بجمع الأعداد التي رُمز إليها بالحروف في الكلمات

التي شاركت في عملية التأريخ ، كما في هذا الشاهد على قبر آخر بالزلاج :

(مخلع) والفأل يشدوك أن يورخ «كلثوم» ، مشواك في الجنان

فمجموع الكلمة الأولى ، كلثوم ، هو : $596 = 40+6+500+30+20$

ومجموع الكلمة الثانية ، مشواك : $567 = 20+1+6+500+40$

وتساوي حروف الكلمة الرابعة ، في : $90 = 10+80$

والخامسة ، الجنان : $135 = 50+1+50+3+30+1$

ومجموع حروف الشطر كله هو : 1388 وهي سنة وفاة هذه المرحومة .
والفرق بين الشاهدين هو أن الثاني يفيد معنى يندرج في القصيدة الرثائية التي
نقشت على القبر ، في حين أن الأول اكتفى بذكر ألقاب أربعة أحرف بالنظر
إلى قيمتها العددية .

فليس التاريخ بالشعر أن نكتب الأعداد حروفا كما نطق بها كأن نكتب
العدد « 5 » = خمسة ، و « 36 » = ستة وثلاثين . وليس كذلك أن نلصق
الحروف ببعضها بعضا كما تلصق الأرقام في التعبير عن العدد فنكتب مثلا
عدد « 1388 » = ح ح ج ا ، تعويضا لكل رقم بالحرف المناسب ، فليس في
هذا ولا في ذاك طرافة ولا بديع ولا صنعة . وإنما هو اختيار كلمات الشطر
أو الجملة المنقوشة بكيفية تجعل حروفها ، إذا زيدت مقاديرها العددية إلى
بعضها بعضا ، في عملية جمع ، تساوي في مجموعها العدد المطلوب .

هذا النوع من الحساب الذي يعتمد قيمة الحروف العددية فن قديم آنشغل
به الفكر البشري منذ عهد فيثاغورس اليوناني ، واهتم به المنجمون والكهّان
والعرافون خاصة ، ويحدثنا ابن خلدون عن محاولات أحبار اليهود زمن بعثة
محمد عليه السلام ، للتعرف إلى المدة التي ستبقى فيها الملة الإسلامية قائمة ،
فأخذوا يتأولون الحروف المقطعة التي صدرت بها بعض السور مثل « يس »
و « حم » و « كهيعص » ، فيعوضونها بمقاديرها العددية في حساب الجمل ،

ويجمعون ويضربون حتى يخرجوا بمسدة دوام الملة ، فيقول ابن خلدون مستسخفا هذه الطالاسم : « ولا يقوم دليل على تقدير الملة بهذا العدد ، لأنّ » دلالة هذه الحروف على تلك الأعداد ليست طبيعية ولا عقلية ، وإنما هي « بالتواضع والاصطلاح الذي يسمونه حساب الجمل » (1) . وقد تواصلت هذه الحسابات التكهنية وهذه التأولات السحرية في بطون كتب التنجيم ، وفي تصنيف التمام والحروز ، إلى أن استقرت في القرون الأخيرة عند شعراء المناسبات وناظمي الوفيات ، فأخذوا يؤرخون بها الأحداث السارة والفواجع فيختمون بها قصائدهم ، أو ينقشونها على المنشآت المعمارية كالتقصور والمساجد والتوايت والمدارس والجسور وأضرحة ذوي الجاه والسلطان . فصار هذا التاريخ بالحروف المنتظمة في جمل نثرية أو منظومة هو المعنى بعبارة « حساب الجمل أو الجمل » بالتخفيف والتشديد أو « الحساب الجملي » بياء النسبة أو « الحساب الأبجدي » نسبة إلى الحروف الأولى من سلسلة الحروف الهجائية العربية (2) .

تقييم الحروف بالأعداد عند المشاركة والمغاربة :

غلب على سلسلة حروف الهجاء اسم « الأبجدية » رغم أنّ تسلسلها في المعاجم يخضع إلى ترتيب آخر وهو : ا-ب-ت-ث-ج-ح-خ... ذلك أنّ الحروف الأولى من السلسلة المقدرة بالأعداد هي « ا-ب-ج-د » ، فكونوا منها كلمة اصطلاحية رباعية -- وكان يمكن اقتطاع الثلاثة أحرف

(1) مقدمة ابن خلدون - المطبعة المشرفية ص 372 .

(2) في تعريف حساب الجمل ، انظر : منجد الأب معلوف . في كلمتي « أبجد » و « جمل » ، وقد كان هذا القاموس في طبعاته الأولى يذكر بازاء كل حرف مقداره العددي ، أما الطبقات الحديثة ، فهي تهمل الأعداد . وانظر كذلك : دائرة المعارف الإسلامية ، في الطبعة الأولى مقال « تاريخ » لكارا دي فو . وفي الطبعة الجديدة ، مقال « حساب الجمل » لج. س. كولان . G. S. Colin . وانظر كذلك : كتاب الأستاذ محمد السويسي : « لغة الرياضيات عند العرب » طبع بالفرنسية بتونس 1968 ص 123 . وانظر أيضاً مجلة الثريا التونسية عدد ديسمبر 1946 ، وقد نقلت مقالا للشيخ جعفر نقدي البصري في الموضوع . وانظر أخيراً : مجلة الإذاعة والتلفزة التونسية عدد غرة أبريل 1971 .

الأولى في كلمة ثلاثية -- كما صَنَعُوا من الحروف الأربعة والعشرين الباقية سبع كلمات أخرى ، وهي -- بعد أبجد -- حطي ، كلن ، صغض ، قرست ، ثمخذ ، ظغش . وقد صُوِّها إلى ثلاثة أقسام يتركَّب كلَّ قسم منها من تسعة أحرف ، فتقدَّرُ التسعة الأولى بالآحاد ، من 1 إلى 9 ، والتسعة الثانية بالعشرات من 10 إلى 90 ، والتسعة الثالثة بالمئات من 100 إلى 900 ، وقيَّموا الحرف الأخير ، وهو الشين ، بألف : 1000 .

ونتبيِّن هذا الترتيبَ من الجدول التالي الذي نقله من مخطوط لسبط الماردينيّ (3) .

أ	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط
1	2	3	4	5	6	7	8	9
ي	ك	ل	م	ن	ص	ع	ف	ض
10	20	30	40	50	60	70	80	90
ق	ر	س	ت	ث	خ	ذ	ظ	غ
100	200	300	400	500	600	700	800	900
ش								
1000								

وهو ترتيب يسمح بقراءة أفقيّة للحروف كما رأينا في « أبجد ، حطي ، الخ . » ، ويسمح أيضا بقراءة عموديّة تنتقل من الوحدات إلى العشرات إلى المئات فالألف ، على شكل : أيقش ، بكر ، جلس ، الخ .. إلّا أنّ الترتيب الأبجديّ هو المصطلح عليه في الشرق والمغرب ، وإن كانوا يختلفون في قراءة الكلمات الاصطلاحيّة وفي ترتيب بعض الحروف ، وبالتالي في تقييمها . فأما الحروف التي يختلف موقعها بين المشاركة والمغاربة ، فتختلف بذلك قيمتها ، فهي ستة :

(3) سبط الماردينيّ : (ت. 907) دقائق الحقائق في حساب الدرج والدقائق مخطوط بالمكتبة الوطنية .

عند المغاربة	عند المشارقة	
60	90	ص
90	800	ض
300	60	س
800	900	ظ
900	1000	غ
1000	300	ش

وعلى هذا الأساس ، فترتيب سبط المارديني الذي يظهر من الجدول الأول ترتيب مغربي . أمّا نطق الكلمات الاصطلاحية ، فننقله عن دائرة المعارف الإسلامية في مادة « أبجد » (4) ، في المشرق يقولون :
 أَبْجَدْ هَوَزْ حُطَيِّ كَلَمَنْ سَعْفَضْ قَرَشَتْ تَخَذْ ضَطْعْ
 والمغاربة والأندلسيون ينطقون :

أَبْجَدْ هَوَزْ حُطَيِّ كَلَمَنْ صَعْفَضْ قَرَشَتْ تَخَذْ ظَغَشْ
 ومن الأعيهم أن بعض شعراء غرناطة كان يفتخر بنهر « الشنيل »
 الذي يشق المدينة فيباهي به نيل المشارقة ويفضله عليه ، بدعوى أن الشنيل :
 ش-نيل = $1000 \times$ نيل : ألف نيل ! ويدعم هذا التفاخر الحسابي بالشنيل
 قول لسان الدين بن الخطيب في « الإحاطة » :
 « وما لمصر تفخر بنيلها والألف منه في شنيلها ؟ » (4مكرر)

استخدام الحساب الأبجدي في تأريخ الأحداث :
 يقول الشيخ جعفر النقدي في المقال الذي نقلته مجلة الثريا (5) أن أول

(4) الطبعة الجديدة ج 1 ص 100 .

(4) (مكرر) : الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب . نشر عبد الله عنان ص 124 و 341

(5) مجلة الثريا التونسية - عدد ديسمبر 1946 ، والمقال منقول عن مجلة العرفان الشرقية .

من آسْتَحْدَمَ حَسَابِ الحروف للتأريخ ، مؤرَخَ عَشْمَانِي سَجَلِ فتح القسطنطينية سنة 857 بهذه العبارة :

بَلَدَةُ طَيْبَةِ

$$857 = 421 + 436 = (400 * 2 * 10 * 9) + (400 * 4 * 30 * 2)$$

و« طَيْبَةِ » من أسماء المدينة المنورة ، وكأنّهم شبهوا عاصمة الروم ، وقد صارت إسلامية ، بمدينة الرسول عليه السلام . وقال بعض شعرائهم مفتخرا بهذا الفتح المبين (6) :

(رمل) رام أَمَرَ الفتح قوم أولون
حَاذَهُ بِالنَّصْرِ قومُ آخَرُونَ

$$857 = 50 + 6 + 200 + 600 + 1$$

فكان مجموع حروف « آخرون » موافقاً في العدد لسنة الفتح 857 هـ .

فان كان هذا هو حقّاً أوّل استخدام للحساب الأبجديّ في التاريخ وتسجيل الحوادث ، فلنلاحظ أنّ الطريقة ، إلى هذا الحدّ ، حافظت على صفتها البديعية اذ تطلّب من القارئ أن يتفطن إلى موافقة الكلمة للتاريخ المقصود ، دون أن ينبّهه الناظم إلى ذلك ، كما يتفطن القارئ للشعر إلى الاستعارة اللطيفة والكناية الخفية والتشبيه الحسن . أمّا المتأخرون ، فكأنّهم خافوا أن تضيع جهودهم سدى فيسرّ القارئ على ألعينهم دون أن يتفطن إليها ، فأخذوا ينبّهونه إلى وجودها بكلمات مخصوصة ، مثل « تأريخه » و« أرّخ » و« أرّخت » تسبق الحساب مباشرة ، كما ينبّهونه بأرقام التاريخ المقصود فيضعونها تحت الحروف المناسبة . وهذا مثال آخر من تأريخ بالحروف لم تُذكر فيه

(6) المثال من كتاب : تحفة الأنام في مختصر تاريخ الاسلام للشيخ عبد الباسط فاخوري بروت 1320 ص 213 .

الكلمة المنبّهة من مادة « أرخ » (7) ، فقد كتب على حنيفة للسابلة هذا الدعاء :

(خفيف) ... رَحِمَ اللهُ مَنْ ذَنَّا وَشَرِبْ

248 * 66 * 90 * 55 * 508 = 967

فكان مجموع أعداد حروفه يُعيّن السنة التي بُنِيَتْ فيها هذه الحنيفة . ولا يفوتنا أن ننبّه إلى أن التقييم في هذا الشاهد ، تقييم مشرقى ، يجعل الشين في « شرب » تساوي 300 ، لا ألفا كما عند المغاربة .

ولم يقصروا هذا التاريخ الجملي على الشعر ، بل ضمّنوه النثر كذلك ، وخصوصا جماعة الشعراء المنشئين في بلاط المملكة ودواوينها ، وقد كانوا كتابا شعراء وزراء ، مثل علي الغراب (توفي 1183 هـ / 1770م) . والورغي (بعد 1780/1193) وحمودة بن عبد العزيز صاهب التاريخ الباشي (1202/1789) وأحمد سميّة القيرواني ، والطوير ، والدردناوي وغيرهم . فهذا علي الغراب الصفاقسي ينشئ رسالة تتضمّن . حسب عبارة زميله حمودة ابن عبد العزيز « تواريخ بديعة نثرا ونظما » (8) ، فقد اكتشف الغراب أن بعض الكلمات من سورة الأحزاب الآية 11 توافق التاريخ الذي هو بصدد تسجيله والمعنى الذي يريده فقال :

« ... وفي ذلك التاريخ زُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا »

81 76 1019 = 1176

ولا شك أن التماس الموافقة بين التاريخ المطلوب والمعنى المقصود يكلفهم عناء شديدا كما يكلف القارئ والباحث جهدا عظيما لفكّ هذه الألغاز التي ما كانت تُفهم لولا أن الناظرين أنفسهم يبادرون كما قلنا

(7) من مقال الثريا المذكور .

(8) الكتاب الباشي لحمودة بن عبد العزيز - تحقيق الشيخ محمد ماضور ص 120 ، ولم ينشر إلا الجزء الأول .

إلى تسجيل التاريخ بالأرقام تحت تاريخ الحروف . وهذا الجهد ، وهذا

التعسف يضطّرهم إلى العديد من الجوازات العروضية والغوية ، بل يحملهم

أحيانا على ارتكاب أخطاء لا مبرر لها إلا الخروج من ورطة للوقوع في أخرى .

وقد اشتكى المؤرخون وعلماء الآثار من هذه الطريقة التي تتطلب منهم مجهودا

ذهنيا عظيما (9) ، لأنّ هذا الفنّ البديعيّ يكثر خاصّة في كتب التاريخ

المتأخّرة ، وعلى المنشآت المعماريّة ، وعلى قبور ذوي الجاه والعلم . فلذلك

نسوق معظم شواهدنا ، إمّا من دواوين الشعراء التونسيّين الذين ترجم لهم

الكتاب الباشي . وإمّا من الوفيات والمراثي التي تنقش على رخامة القبور

بمقبرة الزّلاج خاصّة .

الاضطرار إلى الجوازات الشعرية :

فدين هذا الاضطرار ، وقوعهم في المحذور من الزخافات العروضية ،

كما في هذا النقش على قبّة بطنجة (10) :

(خفيف) شَيْدَتْ رِفْعَتِي بِغُورَةِ عَمَامِ
حَلَّ بَيْتَ السَّعْدِ بِدَرْجِمَالِي

38 412 405 206 84 * المجموع 1145

فانّ ميزان العجز لا يستقيم إلا بإضافة مقطع لـ «السعد» فيصير «السعود» ،

فتضاف الواو المقدّرة بستّة ، فيتأخّر تاريخ بناء القبّة إلى 1151 ، وایس هذا

من غرض الناظم ، فلذلك حافظ على صحّة التاريخ ، وضحيّ بصحّة الميزان .

ومن الجوازات ، الاختلاف في معاملة حرف التاء : فهي تساوي 400

إذا كانت مفتوحة أو مربوطة في درج الكلام كما في هذا الشاهد الرخامي :

(طويل) ... أفني جنّة الفردوس منزل أحمد ؟

91 453 621 127 54 = 1346

(9) انظر ما كتبه ليفي بروفنسال في بحثه عن المؤرخين المغاربة . لا روز 1922 ص 79 .

(10) انظر ج.س. كولان G.S. Colin هسبيريس Hespérès 1934 ص 94 .

أما إذا كانت مربوطة في آخر الكلام ، فهي تعامل معاملة الهاء ، هاء الوقف أو السكت ، وتقدر بخمسة كما في هذا البيت لأحمد سميّة (11) :

(كامل) لما أتى عامُ الهنا أرتختُهُ عامٌ تجلّى في سماءِ العافية.

$$1174 = 197 \quad 342 \quad 90 \quad 434 \quad 111$$

ولكنّهم عند الضرورة ، يقدّرونها هاء = 5 رغم وقوعها في درج الكلام (كامل) نلت الهناء بخير تاريخ، وفي دارِ المقامة فزّت بالرضوان

1385 = 380 487 217 205 96

وكذلك يختلفون في معاملة الألف المتصورة ، أيعتبرونها ألفا (= 1) أم ياء = 10 ؟ فمن الاعتبار الأوّل . بيت أحمد سميّة السالف في فعل « تجلّى ». ومن الاعتبار الثاني ، ألف « رحمى » في هذا الشطر :

(كامل) ... تلازم رُحْمَى الله قبرك طَاهِرُ

1339 = 215 322 66 258 487

كما يختلفون في معاملة الهمزة الواقعة على الياء ، فهي تارة همزة تُقدّر بواحدٍ كما في هذا البيت لأحمد سميّة :

(طويل) إذا حلّ بطن الأرض قال مؤرخا

فدارت على أحنيا الأعادي الدوائرُ

$$1175 = 243 \quad 117 \quad 20 \quad 110 \quad 685$$

وتارة ياء تُقدّر بعشرة كما في هذا البيت للشاعر نفسه (12) :

(كامل) زانت بك الدنيا فقلت مؤرخا

أمسى عدوك يا مُزَيْنُ خائباً

$$1175 = 614 \quad 108 \quad 11 \quad 100 \quad 342$$

(11) الكتاب الباشي ج 1 ص 75 .

(12) البيتان ذكرا في ص 107 من الكتاب الباشي .

وازاء هذا الاستخفاف بمقادير الحروف ، وهذا العبث بالقواعد ان كانت هناك قواعد ، لا نستغرب من الناظرين أن يُسْعَفُوا القارئ بالتاريخ بالأرقام دوما ، وبالمجموع الجزئية تحت كل كلمة أحيانا ، حتّى يطلعوه على معاييرهم وقد صارت تختلف عند الشاعر الواحد ، فضلا عن الشعارين ، كما يحتاج الجاسوس إلى اكتشاف « المعيار Code أو المفتاح » الذي تكتب به المكاتيب السريّة .

ومن اصطلاحاتهم القارّة ، اعتبار الحرف المشدّد حرفا واحدا ، فلا يضاعفون عدده :

(كامل) وبحلّ وولات أتاك مؤرخا :

قد حلّ وولات ببدء محرم

104 38 737 9 288 = 1176

فلم يضاعف الشاعر الغراب في هذا الشطر لا اللام من « حلّ » ولا الراء من نقيضها « محرم » . وقد أكتله المستشرق ج.س. كولان G.S. Colin في مقاله المذكور عن حساب الجمّل بدائرة المعارف الاسلاميّة أنّهم يضاعفون العدد للحرف المشدّد كما قد لا يضاعفون . ولم اقف ، فيما تصفّحته من دواوين ومن ألواح قبور ، على شواهد وقع فيها هذا التضعيف .

ومن الجوازات أيضا حذف ألفات الوصل والمدّة كما في هذا البيت للمؤرخ المغربي محمّد الإفرنجي ، وهو يسجّل عام تشييد قصر البديع بمرّاكش :

1002 (13)

(كامل) وأتى التمام فقلت من تاريخه

بيت بئلا عقد ولا إشكّال

412 33 174 37 1052 = 1708

(13) محمد الافرنجي : نزّهة الهادي بأخبار ملوك القرن الحادي . نشر هوداس 1888 ص 111 .

وقد تفتطن ناشر الكتاب « هوداس » إلى الفارق بين التاريخ المزعوم 1002 والتاريخ الذي يفضي إليه الحساب : 1708 ، فنبه إلى أن الشين في « اشكال » شين مشرقية قيمتها 300 ، وإن الألفات ينبغي طرحها من الحساب . ولو فعلنا ، لصار المجموع 1004 ، لا 1002 ، كما رسم المؤرخ بنفسه ، وهذا نموذج آخر من خبطهم في هذا الزخرف السخيف . فهم يطرحون الألف والهمزة أو لا يطرحونها ، وهم بعد ذلك يستجيزون اللجوء إلى المقادير الشرقية في تقسيم الحروف كما فعل هذا المغربي بالشين في البيت السالف ، وكما فعل هذا التونسي بالسين :

(بسيط) قضى مدى العمر سحاً في مكارمه ثم استجاب لداعي الحق والخير (14)

69

فقد سجل عمر الفقيه عند وفاته بعبارة « سحاً » : 69 سنة ، ولكنه لجأ إلى تقادير مشرقية للسين : 60 . ولنلاحظ عرضاً في هذا البيت أن ذكر العمر كان يخفى على القارئ لولا تنبيه الناظم له بالأرقام ، فهذا من طرائف هذا الفن ، وإن كنا نتساءل عن تأهل لوح القبور لحمل مثل هذه الطُرف ، والمفروض في القبور أن تبعث القارئ على الاعتبار ومحاسبة النفس .

الجوازات اللغوية :

ولا يقف التعسف بالناظمين عند هذا الحد فيكتفون بالإخلال بالأوزان وبالتأرجح بين الجائر والمحذور ، والتنقل بين المقادير الشرقية والمغربية ، بل يضطرون أحياناً إلى ارتكاب الغلط :

(مقارب) أيا زائرا دونك الفال عنها

يُورَخ : سَعِدَتِ بدار السلام (15)

1383 = 402 207 774

(14) على قبور بالزلاج .

(15) الكتاب الباشي ص 108 .

فقد اضطرّ الوزنُ ناظمَ هذا البيت إلى جزم فعل « يؤرّخ » ولا وجه لجزمه .
وهذا أحمد سميّة القيروانيّ يثبت ياء الناقص في فعل الأمر ، « وهذا
معيب جداً » حسب عبارة صاحب الكتاب الباشي (16) :

(كامل) قل ، والقبول على الإلاه ، مؤرّخا

احمي بحفظ ، يا وليّ ، بني عليّ

1178 = 110 62 46 11 890 59

حتّى الشاذلي خزن دار وهو قريب منّا في العصر ، بعيد عن هذه الألاعيب .
يضطرّ إلى ترك العاطف في رثاء أبويه (17) :

(كامل) وتلوتُ بالمنظوم قولَ مؤرّخ

قُلْ : ذا ضريحٍ فيه أمّي والدي

1336 = 51 51 95 308 701 130

قواعد التاريخ الجمليّ :

من هذه الدراسة الجزئية لهذا الفنّ الشعريّ ، يمكن أن نستخلص بعض
الأصول القارّة التي تصلح أن تكون قواعد لهذه الطريقة رغم اختلاف أصحابها
فيها . وهذه النتائج نسوقها بكامل التحريّ ، ما دمنا لم نطلع على دواوين
المؤرّخين المغاربة الذين نشأ عندهم هذا النوع من التأريخ ، حسب ما أثبتته
ج . س . كولان في المقال الذي أشرنا إليه ، ولا على دواوين المشاركة الذين
اهتمّوا به .

من هذه الأصول ما مرّ ذكره ، كتنبئهم للقراء بعبارة مشتقة من مادة
« أرّخ » ، وبإثبات التاريخ بالأرقام ، وكثرة جريان عبارة « فال » على

(16) نفس المرجع ص 149 .

(17) ديوان خزن دار ج 1 ص 243 .

ألسنتهم ، ولا سيّما في المراثي حين يتمسّون للفقيد جنان الآخرة ، ولعلّ هذه الكلمة « فأل » من بقايا التنجيم والتكهّن الذي اختصّ بالحساب الأبجدي في أوائله .

ونلاحظ كثرة استخدامهم للبحر الكامل ، خاصّة في وفيات القبور :
السهولة أجزائه التي تقرّبه من الرجز ؟ أم لسهولة التصرف في ضربه ، بين متفاعلن وفعلاتن ومفعولن ؟

ومما رسخ عندهم أيضًا اللجوء إلى التاريخ الهجري لا غير . ولا غرابة في هذا لأنّ هذا اللون من البديع نشأ في أوساط إسلاميّة بعيدة عن التأثيرات الغربيّة ، وهو اليوم في اندثار لم يبق معروفًا مستخدمًا إلّا عند الأسر العريقة في الدين والعلوم الإسلاميّة كمشائخ الجامع الأعظم وأهل الإفتاء وكبار المتصوّفين . فهذا مثلاً تاريخ وفاة الشيخ الفاضل ابن عاشور رحمه الله منقوشاً على ضريحه بالزلاّج :

(مخلّع البسيط) عُمَرَ سِتِّينَ مَعَ ثَلَاثِ
سَنَ النَّبِيِّ ، وَفِيهِ يُمْنُهُ
لِذَاكَ قَدْ قُلْتُ فِيهِ : أَرَّخْ
يَحْقُقْ سِنَ الرَّسُولِ سَنُهُ

118 350 567 355 = 1390

وقد يجتهد الناظم في ذكر اسم الفقيد في جملة التاريخ نفسها ، سواء كان المراثي رجلاً (عثمان) :

(مجثّ) خَلَّدَهُ فِينَا وَأَرَّخْ : عُمَانُ يُنْجِيهِ خُلْدُ (18)
661 78 634 = 1373

(18) على قبر بهمام الأنف جنوب العاصمة .

أو امرأة (حسنة) :

(رمل) فتفاءلْ وأدعُ مولاك وأزْ

رِخْ : به حسنةٌ قد طابت قرارا

1385 = 502 412 104 360 7

استخدامه في أغراض غير الرثاء :

وقد استخدموا حسابَ الجُمَّل في غير الوفيات ، وفي غير المناسبات التي تدعو إليها حياة البلاط ، وضرورة الترتّف إلى الملوك والأمراء . فهذا الشاعر أحمد سميّة المذكور يتفكّكه بزميله علي الغراب ، فيورّي باسم « الغراب » وهو الطائر المعروف بشؤمه :

(وافر) ... فقال المسلمون : بما أصيّبوا ؟

فقلت مؤرّخاً : بغرابٍ بيّن (19)

1167 = 62 1105

خاتمة :

اقتصرنا ، في مقالنا هذا ، على الفنّ الأدبيّ الذي يستخدمُ المقاديرَ العددية للحروف الأبجدية ، في عمليات التأريخ نظماً ونثراً . وقد نبّهنا ، في أوّل كلامنا ، إلى أنّ الأصل في الحساب الجمليّ ، أن يُستخدم في السحر والطلاسم ، والتنبؤات ، والتماس مفاتيح الغيب ، وتصنيف التماثيل والحروز الواقية من الشرور بأنواعها . وهذا النوع من العمليات التنجيمية كان منتشرًا عند اليهود خاصة ، ثمّ انتقل إلى العالم الإسلاميّ فألفت فيه الرسائل العديدة والكتب المخطوطة ، ممّا يجده القارئ ملخصاً في أطروحة الباحث اللبنانيّ توفيق فهّد T. Fahd — وهو الآن أستاذ بكلية

(19) أنظر تفاصيل القصة في كتاب التاريخ الباشي ص 76 ، من الناشر الشيخ ماضور .

إسترازابورغ بفرنسا - بعنوان : « التنبؤ والسحر عند العرب » - وفي مقالیه
بدائرة المعارف الإسلامية : مقال « جفر » ، ومقال « حروف »
(علم الحروف)

تونس 1971/5/28

محمد البعلاوي